

خطبه الجمعة - الخطبة ٠١٥٧ : خ ١ - لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم - خ ٢ : الزرافة.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٧-٠٢-٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي
ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً
بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله
سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهم صل وسلم وبارك على
سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ، ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم
ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير إنك على كل
شيء قدير .

قال تعالى : ولو نزلناه على بعض الأعجمين .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في خاتمة سورة الشعراء يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ
عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَكَلَّمَ
نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ * كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ
الْمُجْرِمِينَ * لَّا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا
يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴾

[سورة الشعراء الآيات : ١٩٢ - ٢٠٧]

أيها الإخوة الأكارم ؛ سأشرح آية أو آيتين ، من هذا المقطع .

﴿ وَكَلَّمَ نَزَّلْنَاهُ ﴾

أي القرآن الكريم .

﴿ وَكَلَّمَ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾

لو أن هذا القرآن الكريم نزل على رجل أعجمي لا يعرف اللغة العربية إطلاقاً ، ثم قرأه عليهم
بلسان عربياً مبيناً ، أليست هذه معجزة ؟ أليس هذا فوق طاقة البشر ؟ أليس هذا يدل على أن هذا
الرجل من عند الله ؟ مرسل من عند الله ، ومع ذلك .

﴿ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾

لو أن هذا القرآن نزل على بعض الأعجمين بغير اللغة العربية ، بلغة أعجمية ، فقرأ عليهم باللغة الأعجمية .

﴿ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾

شيء طبيعي .

﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

يعني هذا القرآن الكريم ينبغي للمرء قبل أن يتلوه أن يكون طاهر القلب ، وأن يكون طاهر الجسد ، لو أن الإنسان خالف أحكامه وخرج عن أمره ، وخرج عن نهيه ، واتبع شهواته ، وبغى ، وطغى ، وتجاوز الحد المعقول ، وعاش في الأرض فساداً ، إنه لو قرأ عليه القرآن لا يفقه منه شيئاً ، وكأنه يقرأ عليه بلغة أعجمية .

﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

قال تعالى : لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم .

لكن الآية التي تستحق أن نقف عندها طويلاً .

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

ما معنى هذه الآية ؟ معنى هذه الآية أن الكافر شأنه كشأن البهيمة ، لا يخاف إلا بعينه ، حينما يقع المصائب ، وحينما يدفع الثمن باهظاً ، عندئذ يؤمن أن هذا الكلام من عند الله ، يعني حينما يخسر المرابي كل ماله عندئذ يؤمن أن الربا محرم وأن عقوبة المرابي تدمير ماله كله ، وحينما يطلق الرجل بصره فيما حرم الله ، وينقلب بيته جحيماً ثم يضطر إلى تطليق زوجته ، وتشريد أولاده عندئذ يعلم أن آية غض البصر هي حق من عند الله سبحانه وتعالى ، ما الفرق بين المؤمن والكافر ؟ المؤمن يؤمن بآيات الكتاب قبل أن تقع ، والكافر يؤمن بها بعد أن تقع .

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

فرعون حينما أدركه الغرق قال :

﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ *
الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾

[سورة يونس : ٩٠ - ٩١]

ما من واحد على وجه الأرض يعصي الله ، حينما يأتي العقاب ، حينما يأتي الجزاء ، إلا ويؤمن أن هذا الذي فعله كان باطلاً ، وأن الله حق وأن كلامه حق ، وأن أوامره حق ، وأن نواهيه حق ، لكن متى آمن ؟ بعد فوات الأوان ، يا ليتنا نؤمن قبل أن يقع أمر الله ، يا ليتنا نؤمن قبل أن ندفع الثمن باهظاً .

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

إذا جاءهم العذاب ، وأغلب الظن أن العقاب من جنس المعصية ، إذا كانت المعصية في المال
 دمر المال ، إذا كانت المعصية فيما يتعلق بالنساء صار البيت جحيماً ، لا يطاق ، كل معصية لا
 بد من نتيجة حتمية وراءها

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

((لن ينفع حذر من قدر ، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء))

[رواه أحمد والطبراني]

حقيقتان في هذا المقطع ، حقيقة أولى وهي أن كلام الله سبحانه وتعالى لا يستطيع الإنسان أن
 يدرك مراميها ، وأن يفهم أبعاده ، وأن يفهم حقيقته ، إلا إذا كان طاهراً بكل ما في هذه الكلمة من
 معنى ، لك أن تفهم الطهر على أنه طهر مادي ، لا ينبغي أن تقرأ القرآن إلا وأنت متوضئ
 يستحسن أن تقرأه وأنت متوضئ ، ولا ينبغي أن تمسه إلا وأنت طاهر ، والمعنى الأوسع يجب
 أن تكون مطهراً من الشرك ، ومن الفسق ، ومن المعصية ، وإلا إذا تلي عليك القرآن لا تفهمه ،
 وكأنما تلي عليك بلغة الأعجمية .

﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴾

حينما يأتي العذاب يقولون .

﴿ هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴾

أيؤخر عنا العذاب حتى نؤمن به ، حتى نتبع ما جاء فيه

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾

ثم تأتي الآية التي عدها الإمام الغزالي رضي الله عنه ، والتي ذكرتها لكم في الأسبوع الماضي
 عدها موعظة الواعظ الناطق عن الواعظ الصامت .

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴾
 هذه المتع محدودة ، قال عليه الصلاة والسلام :

((بادروا بالأعمال سبعا ، ما ينتظرون ؟ إلا فقراً منسياً ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ،

أو هراماً مفقداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال ، فإن شر منتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر))

[رواه الترمذي والحاكم في الفتن وقال الحاكم صحيح وأقره الذهبي عن أبي هريرة]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ هذا المقطع في أواخر سورة الشعراء :

﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ

عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَكُو

نَزَلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ * كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ

الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا

هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٣﴾

خمسة من كن فيه كن عليه .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ورد في الأثر أن خمسة من كن فيه كن عليه ، خمسة أشياء من كانت واحدة فيه كانت هذه الواحدة عليه .
البغي ، والنكث ، والمكر ، والمخادعة ، والظلم ، وأما الدليل .

١ - البغي :

فالبغي : هو تجاوز الحد ، إذا بعت سلعة فوق الثمن الذي تستحقه فد بغيته على الشاري ، إذا فسوت على الزوجة أكثر مما ينبغي فقد بغيته عليها ، إذا أخذت من شريكك أكثر مما تستحق فقد بغيته عليه ، البغي تجاوز الحد المعقول ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾

[سورة يونس الآية : ٢٣]

البغي يعود على صاحبه ، دماراً ، وفقراً ، وإتلافاً .

﴿ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة يونس الآية : ٢٣]

إذا : كل من بغى عاد البغي عليه ، إن كنت عاقلاً ، إن كنت فطناً ، إن كنت أريباً ، يجب أن تعلم علم اليقين أن على الباغي تدور الدوائر ، وأنه مهما طال به الزمن لا بد من أن يعود بغيه عليه ، قد يبغى أخ على أخيه في الميراث ، قد يأخذ الأخ كل ميراث الأب ، تدور الأيام ، يغني الله المحروم ويفقر الباغي ، فيضطر الباغي أن يقف بباب أخيه الصغير ليأخذ منه ما يقتات به .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

٢ - النكث :

وأما النكث : نكث العهد ؛ أي نقض العهد ، عاهدت الله عز وجل على الطاعة ، ثم نقضت العهد ، عاهدت رسول الله على اتباع سنته ذهبت إلى العمرة ، ووقفت على باب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاهدته أن تتبع سنته ، فلما عدت إلى بلدك نكثت العهد ، خرقت سنته ، اتبعت ميل نفسك عندئذ قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنَّا فَمِنَّا فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنَّا فَمِنَّا فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنَّا فَمِنَّا ﴾

[سورة الفتح الآية : ١٠]

٣- المكر :

الثالثة المكر ، قال تعالى :

﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾

[سورة فاطر الآية : ٤٣]

﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

[سورة النمل : ٥٠ - ٥٣]

٤- المخادعة :

ثم المخادعة ، قال تعالى :

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية : ٩]

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[سورة النساء الآية : ١٤٢]

٥- الظلم :

الشيء الخامس هو الظلم ، قال تعالى :

﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية : ٥٧]

﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

[سورة التوبة الآية : ٧٠]

والكفر ، يا أخوة الإيمان نوع من الظلم قال تعالى :

﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية : ٢٥٤]

والشرك أكبر أنواع الظلم ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

[سورة لقمان الآية : ١٣]

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ ﴾

[سورة هود الآية : ١١٧]

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾

[سورة الكهف الآية : ٥٩]

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾

[سورة يونس الآية : ١٣]

﴿ فَكَايُنٌ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِنْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾

[سورة الحج الآية : ٤٥]

﴿ وَكَايُنٌ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴾

[سورة الحج الآية : ٤٨]

﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلِهَا ظَالِمُونَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٩]

الخلاصة .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ عود على بدء ، خمس من كن فيه كن عليه البغي ، والنكت والمكر ، والمخادعة ، والظلم ، مهما طال الأيام ، مهما امتد بالباعي الزمان ، لا بد من أن يعود بغيه عليه ، ومهما امتد بالذي نكت العهد الزمان نكته على نفسه ، ومهما كان المكر محكماً ، لا بد من أن يعود المكر على صاحبه ، ومهما كان المخادع ذكياً ، لا بد من أن تعود المخادعة عليه ، ومهما كان الظلم خفياً لا بد من أن يعود ظلمه عليه خمسة من كن فيه كن عليه .

قصة قصير وقعت في عهد سيدنا عمر تتحدث عن الوفاء .

أيها الإخوة الأكارم ؛ شابان في عهد عمر رضي الله عن عمر دخلا عليه وهما يسوقان رجلاً كان قد قتل أباهما ، كان هذا الرجل يركب ناقة ، تسير هذه الناقة في أحياء المدينة ، هناك جدار ، يعني بستان ، مدت رأسها وأكلت من عنب البستان ، ما كان من صاحب البستان ، وقد اشتد به الغضب إلا أن تناول حجراً ففذف الناقة به على رأسها فقتلها ، صاحب الناقة أخذ هذا الحجر ورمى به الرجل فقتله ، فأمسكه ولداه ، وساقاه إلى سيدنا عمر ، سيدنا عمر عقد مجلساً لمحاكمة هذا القاتل ، وبعد سماع أقوال الشهود وإقرار القاتل حكم عليه بأن يقتل ، لأن زوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم ، وقال تعالى :

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٧٩]

لكن المحكوم عليه بالقتل طلب من سيدنا عمر مهلة ثلاث أيام كي يذهب إلى أهله ليعطيهم مالاً كان قد خبأه في مكان لا يعرفونه ، وليودع أولاده ، وليوصيهم بما يرتثيه بعد موته ، وتوسل هذا الذي حكم عليه بالقتل إلى سيدنا عمر أن يمهله أياما ثلاث .

فقال عمر : ومن يضمنك ، من يكفلك ، لن يتكلم أحد ، حوله أصحابه ، سأله مرة ثانية ، من يضمن عودتك ، هذا الصمت قطعه سيدنا أبو ذر رضي الله عنه ، قال :
يا أمير المؤمنين أنا أضمنه .

فخرج هذا الرجل إلى أهله وأخذ مهلة أيام ثلاث .

في عصر اليوم الثالث جاء الشابان ليشهدا القصاص ، واجتمع أصحاب سيدنا عمر ينتظرون عودة هذا الذي حكم عليه بالقتل ، مضى الوقت ولم يعد ، اقتربت الشمس من المغيب ، اصفرت ، حتى ظن الجميع أنه لن يعود وأنه لا بد من أن يلقي أبو ذر القصاص مكانه ، ثم لاح في الأفق شبح أسود ، ثم اقترب هذا الشبح فإذا الرجل الذي وعد أن يعود قد وفى بوعد ، عندئذ قال عمر رضي الله عنه قبل تنفيذ حكم القتل بهذا الرجل :

لما وفيت بوعدك ، وأنت تعلم أنه القتل .

فقال يا أمير المؤمنين إنما جنئت حتى لا يقال إن الوفاء قد مات .

عندئذ التفقت عمر رضي الله عنه إلى أبي ذر وقال وأنت يا أبا ذر لما ضمنته وأنت لا تعرفه ، وتعلم أن القتل يكون مكانه .

قال يا أمير المؤمنين إنما ضمنته وأنا لا أعرفه لئلا يقال إن المروءة قد ماتت .

عندئذ قال الشابان ونحن عفونا عنه .

فقال عمر : لما عفوتما عنه ؟ فقالا : لئلا يقال إن السماحة قد ماتت .

الوفاء ، والمروءة ، والسماحة ، لو أخذ الناس بهذه الثلاثة ما كان بينهم جائع ، ولا عريان ، ولا مغبون ، ولا مهضوم ، ولأقصررت الجفون من المدامع ، ولطمأنت الجنوب في المضاجع ، ولمحت الرحمة الشقاء ، كما يمحو نور الصبح مداد الظلام ، أما إذا ماتت المروءة ، وانعدم الوفاء ، وشحت النفوس ، فاقراً على المجتمع السلام .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت علام تنتحب الفتاة

فقلت كيف لا أبكي وأهلي جميعاً دون خلق الله ماتوا

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيخطى غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين .

الزرافة :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ كما قال الله تعالى :

﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

[سورة النمل الآية : ٨٨]

وكما قال الله تعالى :

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾

[سورة الملك الآية : ٣]

موضوع دقيق هو أن الزرافة ذلك الحيوان الذي يعد من أطول الحيوانات طولاً ، قاطبةً ، طولها يزيد عن ستة أمتار ، هذا الحيوان من أشد المخلوقات تيقظاً وخفةً ، زودها الله بعينين جاحظتين تستطيعان أن تريا ثلاثمئة وستين درجة ، يعني وهي واقفة رأسها كالبرج ، وعيناها تجوسان الأفق كله ، من كل الزوايا ، وتزن طنناً واحداً وإذا عدت تجاوزت سرعتها الستين كيلومتر في الساعة .

أيها الإخوة الأكارم ؛ لها رغامى تعد أطول رغامى في الكائنات التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، رغامتها تزيد عن متر ونصف ، رأسها ضخمة ، أريد من هذا الموضوع شيئاً واحداً ، أن هذا الرأس الضخم ، وهذه الرقبة الطويلة التي تزيد عن مترين إذا أردت أن تضع رأسها في الأرض لتأكل مما في الأرض ينهمر الدم كله إلى رأسها ، فإذا انهمر إلى رأسها تدفق في رأسها احتقنت شرايين الدماغ ، فإذا رفعت رأسها فجأة لا بد من أن تصاب بالدوار والإغماء قطعاً ، لذلك جهزها الله بآلية عجيبة حيرت العلماء شرايين رأس هذه الزرافة من طبيعة خاصة ، لهذه الشرايين عضلات إذا جاءها الدم تتسع بفعل انبساطها حتى تستوعب جميع الدم الذي جاء إلى الرأس بفعل الجاذبية .

لكل هذه الشرايين صمامات حينما ترفع رأسها فجأة تغلق الصمامات كلها ، فتبقى هذه الكمية من الدم في رأسها ، ثم تفتح شيئاً يسيراً عندها يعود الدم شيئاً فشيئاً إلى بقية شرايين الجسم ، آلية هذه الشرايين تلفت النظر ، إذا جاءها الدم كثيفاً توسعت ، واستوعبت ، فإذا رفعت الزرافة رأسها فجأة أغلقت الشرايين صماماتها محتبستاً الدم فيها كي لا تصاب بالدوار والإغماء ، من جهزها

بهذا الجهاز ، من جعل لهذه الشرايين هذه العضلات ، من زود هذه الشرايين بهذه الصمامات ، أليس هو العليم الحكيم ؟ أليس هو العليم الخبير ؟ أليس هو الخالق القادر ؟ أليس هو الغني الحميد؟ .

يا أيها الإخوة الأكارم ؛ ما من مخلوق على وجه الأرض ، وتحت الأرض ، وفوق الأرض إلا وخلق الله أبدع خلق ، وصنعه أتقن صنعة

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾

[سورة الملك الآية : ٣]

إن قلب الزرافة يدفع في الدقيقة الواحدة خمساً وخمسين متراً من الدم ، في الدقيقة الواحدة . أيها الإخوة الأكارم ، قال الله تعالى :

﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة يونس : ١٠١]

" انظُرُوا " أي شيء وقعت عينك عليه آية دالة على عظمته ، أي شيء تفحصته ، أي شيء درستته ، أي شيء دقت فيه ، إنما هو آية تدل على أنه الواحد الديان ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت وبارك اللهم لنا فيمن أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا وأثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا ، واقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبيننا معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ومن الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء ، مولانا رب العالمين ، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمت أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولائهم إلى ما تحب وترضى إنه على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين